مجلة الحكمة للدراسات الاسلامية
Eissn :2773-4471 Issn : 2353-043X
المجلد 10 / العـدد: 01 (2023)، ص: 09-29

أسلوب النهي أسراره و أغراضه في القرآن الكريم

وصايا لقمان نموذجا

The methode of forbiding , its secrets and purposes in the Holy Quran, Luqman s commandements as a model

بومعيزة فارس

[1] جامعة بن يوسف بن خدة الخروبة . الجزائر

الإيميل المهني :f.boumaizauniv-alger.dz

تاريخ الاستلام: 2022/09/29 تاريخ القبول: 2022/11/21 تاريخ النشر: 2023/01/01

ملخص البحث:

يتناول البحث أسرار أسلوب النهي وأغراضه في القرآن الكريم ، ويقوم بدراسة وصايا لقمان الحكيم . بدأ البحث بمدخل يتحدث فيه عن البلاغة ومراحل نشأتها ثم المبحث الأول الذي هو عبارة عن دراسة مفاهمية تنوالنا فيه الحديث عن سورة لقمان وعن الرجل الحكيم ثم أخذنا تعريف النهي ، أما المبحث الثاني فهو عبارة عن تطبيق لما ورد في إشكالية البحث التي تبحث في أسرار النهي و أغراضه البلاغية فقمنا بتتبع واستقراء آيات النهي في وصايا لقمان وتحليلها والوقوف على أهم الأسرار والأغراض البلاغية فحصرناها في ثلاث نواه هي: النهي عن الشرك ثم النهي عن طاعة الوالدين في معصية الخالق وأخيرا النهي عن التكبرعلى الناس. وفي الأخير ذكرنا أهم نتائج البحث.

Abstracl

The research deals with the secrets of the prohibition in the Holy Qu ran and studies the commandments of Loqman al-Hakim located in Surat Loqman. Research began with an introduction

that talks about rhetoric and its stages if devlopment and . Then the first topic which is a theoretical study in which we dealt with the talk about Surat Luqman and on the authority of Luqman al Hakim then define the prohibition at rehoricians.
As for the second topic we dealt with the applied aspect of the research which is an answer to the prpblem at hand so we extrapolated the prohibitions in Luqmans commandments analyzed them and extacted the rhetorical secrets and standing on her belongings. Finaly , we mentioned the most important results that we reached in our research.

***المؤلف المرسل:** بومعيزة فارس

الكلمات المفتاحية:

لقمان; وصايا ; القرآن ;أسرار ; النهي ;أسلوب

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين أرسل رسوله الكريم كافة للناس بشيرا و نذيرا أيده بالمعجزة الخالدة . القرآن العظيم . و تحدى به الخلق أجمعين فعجزوا عن الإتيان بمثله و انقلبوا صاغرين أصلي وأسلم على النبي الأمي الكريم المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

فإن البحث في القرآن الكريم و التدبر في معانيه عمل لا تنضب مادته ، ولا يقل زاده ، وجهد لا تضيع مساعيه ولا يخيب رجاء من خاض فيه ، لهذا كثر الاهتمام من قِبل علمائنا بهذا الكتاب وقد أفاضوا الحديث عنه تفسيرا وتأويلا وبلاغة ، فكثرت الدراسات في هذا الجانب وأشبعت المكتبات بالكتب والمؤلفات ومع هذا لا يزال علماؤنا ينهلون من مائه المعين يلتقطون منه الدرر النفيسة و ينقبون عن أسراره الخافية.

والبلاغة للتفسير كالماء للنبات و الهواء للرئات إن تخلى المفسر عنها ضاعت المعاني و بقيت تحتضر تنتظر من يعطيها بلسم الحياة وسلم النجاة ألا و هي البلاغة. ولهذا كان حضور البلاغة ظاهرا في كتب التفسير وما يتصل بها من علوم ، ومن هذا المنطلق ارتأينا أن نشارك ببحث بلاغي ندرس فيه أسلوب النهي في القرآن الكريم و الكشف عن أسراره في سورة لقمان .

وتكمن أهمية هذا البحث كونه يبحث في كتاب هو من أجل الكتب وأشرفها على الإطلاق كونه كتاب هداية و إرشاد و إعجاز، فأين تكمن الأسرار البلاغية لأسلوب النهي في القران الكريم ؟ و ما هي أغراضه ؟ وما مدى حاجة المفسر للبلاغة في تفسير معاني القرآن ؟

أما الهدف من وراء هذه الدراسة هو إظهار الأسرار البلاغية في أسلوب النهي في سورة لقمان وبيان الأغراض المستفادة .

تهدف . أيضا . إلى إبراز جانبا من جوانب الإعجاز البياني للقرآن الكريم .

بما أن موضوع دراستنا هو أسلوب النهي في القرآن الكريم كان من المنطقي والضروري الاعتماد على أمهات كتب التفسير التي تعنى بالجانب البلاغي و اللغوي فأهم هذه الكتب :

. الكشاف للزمخشري

. تفسير القرآن العظيم لابن كثير

. روح المعاني للألوسي

. التحرير و التنوير للطاهر بن عاشور.

. تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين

اعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي الوصفي الاستقرائي ،حيث قمت باستقراء الآيات التي ورد فيها أسلوب النهي ثم قمت بتحليلها محاولا كشف أسراره مستعينا بكتب التفسير السابق ذكرها ، كما أني لم أترجم للأعلام مراعاة

لجانب الإيجاز في هذه الدراسة، وقد جاءت هذه الدراسة في مقدمة و تمهيد و مبحثين وخاتمة.

أما المقدمة فقد وقفت فيها على موضوع الدراسة و أسباب اختيار الموضوع وبيان أهميته و أهدافة ثم طرح الإشكالية وجاء في التمهيد ذكر سر إعجاز القرآن و مراحل نشأة علم البلاغة باختصار موجز ،أما بالنسبة للمبحث الأول فهو عبارة عن مفاهيم نظرية لمصطلحات البحث و فيه مطلبان ،الأول : عرفنا بالسورة وبلقمان الحكيم ، أما المطلب الثاني: ذكرنا فيه مفهوم أسلوب النهي ، بعد ذلك ذكرنا النماذج التطبيقية لأسلوب النهي في وصايا لقمان في مبحث مستقل و فيه ثلاث مطالب الأول: النهي عن الشرك بالله و الثاني: النهي عن طاعة الوالدين حال مجاهدة الأولاد على الشرك بالله و الأخير: النهي عن تصعير الخد والمشي اختيالا و في الخاتمة ورد فيها ذكر أهم النتائج .

مدخل :

في مستهل الحديث و قبل الولوج إلى مباحث هذا الموضوع أحببنا الكلام عن البلاغة ومراحل نشأتها فنقول و بالله التوفيق : البلاغة هي سر إعجاز القرآن الكريم وهي مكمن التحدي ، حيث تحدى الله العرب أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، ولا يعقل أن يكون التحدي بشيء لا يحسنونه ولا يعرفون عنه شيئا . فقد عرف عنهم أنهم برعوا في أفانين الكلام وحسن البيان ، ولقد كانت البلاغة طبعا فيهم والفصاحة سليقة لهم وأعطوا من ذلك ما لم تعطه أمة من الأمم ومع ذلك فقد عجزوا عن مجاراته و أنى لهم ذلك وفشلوا عن محاكاته ووقفوا مصدومين من حسن تأليفه وعجيب نظمه ، وصدق الله إذ يقول :"قل لئن اجتمعت الإنس و الجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا" [الإسراء 88]

ولم تكن البلاغة علما مدونا أو فنا مستقلا بل كانت كامنة في صدور الرجال تلاك على الألسن سليقة وفطرة رضعوها منذ نعومة أظفارهم حيث بلغوا بها مبلغا عظيما ثم جاء عصر التدوين . حالها كحال سائر العلوم . حيث مرت بمراحل بداية من الإشارات في الكتب إلى أن بلغت مرحلة النضج والتقعيد بداية من عبد القاهر الجرجاني في كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة و الزمخشري في كشافه إلى السكاكي في كتابه العظيم مفتاح العلوم و القزويني في تلخيص المفتاح ثم مرحلة الشروحات والحواشي على تلك الكتب .ومن أراد الاستزادة فليرجع إلى الكتب التي تعنى بذلك ككتاب تاريخ علوم البلاغة.(أحمد مصطفى المراغي .2017 م . ص8إلى36)

المبحث الأول : مفاهيم نظرية لمصطلحات البحث

المطلب الأول : التعريف بالسورة وبلقمان الحكيم

جرت عادة المفسرين قديما وحديثا أن يذكروا قبل تفسير أي سورة من سور القرآن أو دراستهم لموضوع يتعلق بها بعض الأمور منها:

التعريف بالسورة المباركة :

اسمها: "سميت هذه السورة بإضافتها إلى لقمان لأن فيها ذكر لقمان وجملا من حكمته التي أدب بها ابنه وليس لها اسم غير هذا الاسم وبهذا الاسم عرفت بين القراء والمفسرين" (محمد الطاهر بن عاشور .1997م . ج8 ص137)

ترتيبها في النزول: "سورة لقمان هي السابعة و الخمسون في تعداد نزول السور نزلت بعد سورة الصافات وقبل سورة سبأ" (محمد الطاهر بن عاشور .1997م.ج8 ص137)

ترتيبها في المصحف: هي السورة الواحد والثلاثون في ترتيب المصحف تقع بعد سورة الروم وقبل سورة السجدة تقع في الجزء الحادي والعشرين (محمد الطاهر بن عاشور .1997م .ج8ص137)

عدد آياتها: "هي ثلاثا و ثلاثين في عد أهل المدينة ومكة و أربعا وثلاثين في عد أهل الشام و البصرة و الكوفة" (محمد الطاهر بن عاشور . 1997م .ج8ص136)

زمن نزولها: روى البيهقي في دلائل النبوة عن ابن عباس أنزلت سورة لقمان بمكة (محمد الطاهر بن عاشور . 1997م. ج8 ص 137)

وذكر الزمخشري في تفسيره بأنها مكية إلا الآيات 28و28و29 فمدنية (الزمخشري .2019. ج3ص497)

فالذي يظهر من كلام المفسرين أن هناك خلاف في مكان نزول الآيات المذكورة آنفا وهذا ما صرح به الطاهر بن عاشور (الطاهر بن عاشور. 1997.ج8 ص 137 .138)و الألوسي (الألوسي . 1997 .ج12 ص 98 . 99)

سبب نزولها: أورد المفسرون أقوالا كثيرة في سبب نزول سورة لقمان نذكر منها " أن قريشا سألت عن قصة لقمان مع ابنه وعن بر والديه فنزلت" (الألوسي .1997م .ص99) وكان سؤال اليهود سؤال تعنت واختبار كما صرح بذلك الطاهر بن عاشور في تفسيره وذكر المفسرون غير ذلك ولكن بأسانيد ضعيفة (الطاهر بن عاشور .1997م .ج8 ص138)

مناسبتها لما قبلها وما بعدها من السور:

أما عن مناسبتها للسورة التي قبلها الروم فنقول أن بينهما العديد من أوجه التناسق و الترابط نذكر منها ما ذكره الألوسي بقوله: "ووجه مناسبتها لما قبلها على ما فيه أيضا أنه قال تعالى " ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل "[الروم 58] و أشار إلى ذلك في مفتتح هذه السورة وأنه كان في آخر ما قبلها " ولئن جئتهم

بآية " [الروم 58]و فيها وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا " [لقمان 7] " (الألوسي . 1997 .ج8 ص99)

"كذلك نجد في مناسبتها بالتي قبلها حيث ذكر في هذه سورة الروم مغلوبية الروم و غلبتهم المَبْنِيتين على المحاربة بين ملكين عظيمين من ملوك الدنيا تحارب عليها و خرج بذلك عن منطلق الحكمة ، فإن العظيم لا يحارب على دنيا دنية لا تعدل عند الله جناح بعوضة ، وهذه السورة .لقمان .ذكر فيها قصة عبد مملوك . على كثير من الأقوال . حكيم زاهد في الدنيا غير مكترث بها ولا ملتفت إليها ، أوصى ابنه بها يأبى المحاربة و يقتضي الصبر و المسالمة ، وبين الأمرين من التقابل ما لا يخفى" (الألوسي . 1997 .ج8 ص 100)

أما مناسبتها بالتي بعدها أن سورة لقمان ختمت بذكر مفاتح الغيب الخمس وسورة السجدة شرح لهذه الخمس (الألوسي . 1997 .ج 8 ص 175)

أغراض السورة:

أنزل الله القرآن لحكمة بالغة فجميع سوره سيقت لأغراض جليلة كما هو الحال لسورة لقمان ، فأغراض هذه السورة تتصل بسبب نزولها الذي تقدم ذكره منها:

. التنويه بهدي القرآن ليعلم الناس أنه لا يشمل إلا على ما فيه هدى و إرشاد للخير ، فلا التفات فيه إلى أخبار الجبابرة و أهل الضلال و هذا ظاهر من خلال وقوه تعالى" ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل الناس بغير علم" [لقمان 7]

. ومن الأغراض أيضا ذكر لقمان بالتنويه بأن الله آتاه الحكمة و أمره بشكر النعمة و أطيل الكلام في وصايا لقمان

. تسلية الرسول صلى الله عليه و سلم بتمسك المسلمين بالعروة الوثقى وأنه لا يحزنه كفر من كفر ، ثم ختمت بالتحذير من دعوة الشيطان و التنبيه إلى بطلان ادعاء علم الغيب (الألوسي . 1997 . ج8 ص 138. 139)

لقمان الحكيم:

لقمان اسم أعجمي لا عربي مشتق من اللقم و هو على ما قيل : ابن باعوراء (الألوسي . 1997 . ج12 ص125) . ، وقد اختلف في حقيقته هل هو نبي أو حكيم؟

فمذهب الجمهور أنه كان حكيما صالحا واعتمد مالك في الموطأ هذا القول فذكره في جامعه مرتين بوصف لقمان الحكيم (مالك بن أنس . 2013 .ص 556) ويقتضي ذلك أنه اشتهر بين علماء المدينة بذلك

وقد جاء في تفسير القرطبي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول اله صلى الله عليه وسلم يقول: " لم يكن لقمان نبيا ولكن كان عبدا كثير التفكر حسن اليقين "(الطاهر بن عاشور . 1997 . ج8 ص149)

ومن خلال هذا الحديث يظهر أنه لم يكن نبيا بل كان عبدا آتاه الله حكمة وفهما ويعلل ابن عاشور بقوله:" لأنه لم يمتن الله عليه بوحي ولا بكلام الملائكة" (الطاهر بن عاشور . 1997 .ج8 ص149)

أما القول الثاني أن لقمان من الأنبياء وهذا ما ذهب إليه عكرمة والشعبي ولعل الصواب الذي تدل عليه النصوص الصحيحة أنه عبد أوتي حكمة و فهما وليس نبيا والله أعلم.

وذكر أهل التفسير و التاريخ أن لقمان كان في زمن داود وكان ابن أخت أيوب عليه السلام وقال مقاتل كان ابن خالته (الألوسي . 1997 . ج8 ص125).

وجاء في تفسير ابن كثير من صفاته قوله : وقال الأعمش قال مجاهد كان لقمان الحكيم عبدا حبشيا غليظ الشفتين مصفح القدمين قاضيا على بني إسرائيل

(ابن كثير. 2014 .ج3 ص 667)وكانت مهنته النجارة وقيل كان خياطا.

(الألوسي . 1997 . ج12 ص121،126)

وقد أثر عن لقمان حكم كثيرة جاء ذكرها في كتب التفاسير والتراجم والتاريخ وكتب الحديث ويكفينا في بحثنا هذا ما جاء ذكرها في سورة لقمان التي نحن بصدد البحث في أسلوب من أساليب القرآن ، وإلى هنا نكون قد أنهينا المبحث الأول.

المطلب الثاني: تعريف أسلوب النهي

لما كان أسلوب النهي من الأساليب القرآنية التي يعتمد عليها في إقامة الحجة والبيان اعتنى علماء البلاغة والتفسير بهذا الأسلوب دراسة وبحثا حيث كثرت فيه المؤلفات و البحوث ، لذا لا بد لنا من إضاءة لهذا المصطلح البلاغي وتقريبا لمفهومه من خلال التعريف به .

تعريف الأسلوب

لغة: كلمة أسلوب تدور في اللغة حول عدة معان منها الطريقة و المذهب و الفن (ابن منظور . [د.ت] . ج3 ص 2057)

من خلال التعريف اللغوي يتضح لنا أن الأسلوب في المعنى الاصطلاحي يدور معناه حول الطريق، حيث عرفه فضل حسن عباس بقوله:" فالأسلوب إذن الطريقة التي يسلكها صاحب الصناعة في صنعته و يقصد به صنعة البيان "

(فضل حسن عباس . 2018 .ص67)

أما الأسلوب القرآني فهو طريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه واختيار الفاظه ، حيث لا يشبه الأسلوب البشري الأسلوب الرباني اللهم إلا في الحروف و

الكلمات أما النظم القرآني فقد رصفت حروفه رصفا عجيبا واختيرت ألفاظه اختيارا بديعا

النهي:

في اللغة يدور معناه حول الكف والزجر وهو عكس الأمر ،ففي لسان العرب :" النهي: خلاف الأمر ، نهاه ينهاه نهيا ، فانتهى وتناهى و كف (...) ونفس نهاة منتهية عن الشيء" (ابن منظور . [د.ت] ج6 ص4564)

وعرفه الفيروز آبادي " النهي نهاه ينهاه نهيا ضد أمره فانتهى وتناهى وهو نهو عن المنكر أُمور بالمعروف" (الفيروزأبادي . 1995 . ص 1206)

اصطلاحا:

"يعد أسلوب النهي ضرب من الأساليب الإنشائية وهو طلب الكف عن الشيء على وجه الاستعلاء وله صيغة واحدة وهي المضارع مع (لا) " (فضل حسن عباس . 2018 . ص185) هذا عند أهل البلاغة ، أما عند النحاة فعرفه سيبويه بأنه " نفي الأمر" فسيبويه يقول :" كما أن (لا تضرب)نفي لقولك اضرب " وعند علماء الأصول له صيغ كثيرة لا داعي لذكرها هنا ، لأن الذي يهمنا في هذه الدراسة النهي في الدرس البلاغي

خروج صيغة النهي عن دلالته الأصلية:

وقد تخرج صيغة النهي عن مدلولها الرئيس وهو طلب الكف إلى معان تعرف بالقرائن وتستفاد من السياق منها التحريم الإرشاد و التهديد و التيئيس والتوبيخ والتسلية و التصبر والتحقير والتمني وغير ذلك من الأغراض البلاغية (فضل حسن عباس. 2018 م.ص158 .159) ، ولو تأملت النهي في القرآن الكريم لوجدته كثيرا ما يخرج عن مدلوله الأصلي إلى أغراض بلاغية أخرى تستفاد من السياق وتدرك بالذوق منها:

الدعاء: في قوله تعالى:" ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب" [آل عمران 8]

والإرشاد في قوله:" يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء إن تبد لكم تسؤكم" [المائدة 101]

و التحقير: في قوله: "لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم[الحجر 88]

و التيئيس: في قوله" لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم" [التوبة 66]

وبيان العاقبة: في قوله" لا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون" [آل عمران 169]

والتسوية: في قوله" سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون" [البقرة 5]

فهذه بعض الأغراض البلاغية ذكرناها على سبيل التمثيل لا الحصر وإلا فالأغراض كثيرة تدرك بالذوق وتفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال.

كثيرا ما اهتم علماء البلاغة بأسلوب النهي في القرآن الكريم والبحث عن دلالته البلاغية ، وسر بلاغة النهي في القرآن كونه يؤثر في النفس الإنسانية ويغوص بها إلى ما وراء المعنى اللغوي الذي يسميه الجرجاني بمعنى المعنى حيث يقول:" نعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل به إليه بغير واسطة و بمعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر" (الجرجاني. 2018 م.ص181)

ومن خلال دراستنا هذه نحاول أن نصل إلى معنى المعنى لأسلوب النهي.

المبحث الثاني: دراسة تطبيقية لأسلوب النهي الوارد في وصايا لقمان

من خلال دراستنا لهذا الفصل قمنا باستقراء جميع صيغ النهي الواردة على لسان لقمان الحكيم وكان اعتمادنا الأول في التحليل على كتب التفسير التي تعنى بالجانب البلاغي واللغوي كتفسير الزمخشري وابن كثيرو الألوسي وابن عاشور و هي من أمهات التفاسير ، كما أرجع إلى الآيات الأخرى من القرآن التي وقع فيها تشابه في النهي فأقارن بينها، أستخرج الفوائد والدرر فأقول مستعينا بالله:

إن الناظر في سورة لقمان يجد أنها قد حوت حكما جاءت على لسان لقمان الحكيم وهذه الأخيرة عبارة عن مواعظ تدور بين النهي و الأمر وهما أصل الوعظ و الإرشاد ، والوعظ عبارة عن "زجر مقترن بتخويف" (الطاهر بن عاشور . 1997 . ج8 ص 154) أو ترهيب وبحثنا سيقتصر على جانب النهي فقط.

و الحكمة : "الأصل فيها موافقة الصواب وهي وضع الأشياء مواضعها" (ابن عثيمين . 2012 . ج7 ص 157) أو هي معرفة حقائق الأشياء على ما هي عليه وأعلاها النبوة" (الطاهر بن عاشور . 1997 . ج8 ص 150) ورأس الحكمة الشكر لتضمنه النظر في دلائل نفسه وحقيقته فلولا الله ما بلغ هذه المنزلة منزلة الحكمة الكاملة وهذا مقتضى شكر المنعم عليه

المطلب الأول: النهي عن الشرك بالله

الآية الأولى:

قال الله تعالى:" وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم" [لقمان13] فصيغة النهي في الآية "لا تشرك" و الآيات التي تنهى عن الشرك في القرآن كثيرة منها قوله تعالى:" واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا" [النساء 36]و قوله أيضا:" قل تعالوا أتل ما حرم عليكم ربكم ألا تشركوا به شيئا" [الأنعام 151]

اختلف المفسرون هل ابن لقمان كان مشركا أم مؤمنا؟ لأن هذا الخلاف ينبني عليه فائدة بلاغية في غرض النهي سنتركها لأوانها ، "وافتتاح الموعظة بنداء

المخاطب الموعوظ ." يا بني" . مع أن توجيه الخطاب مغن عن ندائه لحضوره بالخطاب ، فالنداء مستعمل مجازا في طلب حضور الذهن لوعي الكلام وذلك من الاهتمام بالغرض المسوق له الكلام" (الطاهر بن عاشور . 1997 . ج8 ص 154) واستعمل لقمان في خطاب ابنه "يا بني" وهي تصغير ابن مضاف إلى ياء المتكلم وفيها قراءتان قراءة الجمهور بكسر الياء و أصلها يا بنيي بثلاث ياءات وقراءة حفص بفتح الياء على تقدير يا بنيا بالألف.

"والتصغير في اللغة يأتي على نوعين: تصغير إشفاق وتصغير احتقار وهنا المراد به الأول لأن المقام يقتضيه" (ابن عثيمين . 2012 . ج7 ص 185) قال ابن عاشور:" و التصغير فيه لتنزيل المخاطب الكبير منزلة الصغير كناية عن الشفقة به و التحبب له وهو في مقام الموعظة والنصيحة إيماء وكناية عن إمحاض النصح وحب الخير، ففيه حث على امتثال الموعظة" (الطاهر بن عاشور 1997 .ج 8 ص155)

وقوله "لا تشرك بالله" و الشرك معناه أن تجعل مع الله شريكا في العبادة وهو أعظم ذنب عُصِي الله به وهو مناقض لتوحيد الله الذي أمر الناس جميعا بإقامته ، كما هو أيضا مناقض للفطرة التي فطر الله الناس عليها .

ومن فوائد النهي في الآية أن الواعظ يبدأ بالأهم فالأهم كما في الآية وهو من الحكمة مصداقا لقوله سبحانه " أدع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة" [النحل 125] فجعل لقمان أولى الوصايا الدعوة إلى ترك الشرك ثم علل ذلك كونه ظلما عظيما لأن الظلم أنواع أعظمها ظلم العبد ربه بأن يشرك به، والرسل عليهم السلام نالوا أعلى مقامات الحكمة فكان أول ما يدعون إليه ترك الشرك و الدعوة إلى التوحيد ،فليس من الحكمة البدء بالمهم وترك الأهم لهذا قدم النهي عن الشرك.

ووصف الله الشرك بالظلم، والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه وهو عكس الحكمة التي جاء في تعريفها أنها وضع الشيء في موضعه، فناسب وصف الشرك بالظلم ولا يصلح غير هذا اللفظ في هذا الموضع حتى تؤدي الغرض المطلوب فألفاظ القرآن مختارة منتقاه وهذا سر إعجازه.

وصيغة النهي في الآية غرضها البلاغي يرجع إلى خلاف المفسرين في ديانة ابن لقمان هل كان مؤمنا أم كافرا، فعلى القول بأنه كان مشركا فالنهي في الآية غرضه التحذير مع الزجر والتخويف وعلى القول الثاني بأنه كان مؤمنا على دين أبيه فالنهي معناه التحريم مع التحذير من الفعل قبل الوقوع فيه وهو من أرقى الأساليب استخداما في المجال التربوي فالتحذير من الشيء قبل الوقوع فيه و الابتعاد عنه أسهل من قلعه وإزالته بعد مقارفته والتلبس به. وهذا كله داخل في الوعظ و الإرشاد

وعليه فإن صيغة النهي في هذ الوصية قد أدت المراد المطلوب في أحسن صورة وهو وصول المعنى إلى ذهن المتلقي مع الأمل في حدوث الاستجابة بدءا من استعمال أسلوب الترقيق في تصغير كلمة "بني" و النداء في خطاب الحاضر مجازا في طلب حضور الذهن وتنبيه المخاطب لأمر مهم ثم تعليل سبب ترك الشرك بقوله "إن الشرك لظلم عظيم" و تأكيد التعليل بمؤكدين هما "إن" و لام التوكيد وأيضا والإخبار بأن الشرك ظلم ووصفه بأنه عظيم زيادة في الإقناع بتركه.

ومضمون النهي في هذه الآية هو عقائدي لأن الإشراك بالله داخل في باب العقيدة .

المطلب الثاني النهي عن طاعة الوالدين حال مجاهدة الأبناء على الشرك بالله

الآية الثانية:

قوله تعالى:" وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا" [لقمان 15] وقد وردت آية أخرى في العنكبوت وهي من نظيراتها في اللفظ و المعنى العام وهي قوله تعالى:" ووصينا الإنسان بوالديه وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون" [العنكبوت8] و الآيات الحاثة على بر الوالدين كثيرة منها : [البقرة 83 و النساء 36 و الإسراء 23 و الأحقاف 15]

كثيرا ما يقرن الله تعالى حقه بحق الوالدين وهذا لعظم حقهما على الأبناء فهما سبب ووجودهم وقد تحملوا المشاق و الصعاب في تربيتهم و توفير الحماية و الرعاية لهم لهذا جعل النبي صلى الله عليه وسلم عقوق الوالدين من أكبر الكبائر كما جاء في صحيح البخاري(البخاري. م1997. رقم

وجاء في مناسبة هذه الآية أنها أنزلت في سعد بن مالك رضي الله عنه أنه كان بارا بأمه وكانت مشركة فآلت على نفسها ألا تأكل ولا تشرب حتى تهلك أو يرجع ابنها عن دينه .فقال لها سعد : يا أمه تعلمين والله لو كانت لك مئة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني هذا لشيء.(تفسير ابن كثير. 2014 . ج7 ص160)

وذكر أسباب النزول مهم في فهم المعنى ووضوح التحليل سيأتي بيان ذلك في ذكر غرض النهي

وردت الآية بصيغة الشرط وأداته هي " إن" التي تجزم فعلين يسمى الأول فعل الشرط والثاني جوابه

و "المجاهدة هي شدة السعي و الإلحاح" (الطاهر بن عاشور . 1997م . ج8 ص160)و الضمير في الآية يعود على الوالدين ، أي: إن جاهداك والداك وبذلا الوسع في أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما.

جاء في سورة العنكبوت قوله:" لتشرك بي" فيها لام العلة أما في سورة لقمان :" على أن تشرك بي" بحرف (على) وهناك فرق بين الآيتين في المعنى لأن اختلاف المباني يؤدي إلى اختلاف في المعاني يقول الطاهر بن عاشور :" فأما حرف (على) فهو أدل على تمكن المجاهدة أي: مجاهدة قوية للإشراك، و المجاهدة شدة السعي و الإلحاح و المعنى : إن ألحا و بالغا في دعوتك إلى الإشراك فلا تطعهما و هذا تأكيد للنبي عن الإصغاء إليهما إذا دعوا إلى الإشراك . وأما آية العنكبوت فجيء فيها بلام العلة لظهور أن سعدا كان غنيا عن تأكيد النهي عن طاعة أمه لقوة إيمانه" (الطاهر بن عاشور . 1997 . ج8 ص 160) بالمناسبة هنا الطاهر بن عاشور يرى في تفسيره أن مناسبة نزول الآية يصلح في أية العنكبوت ولا يصلح أن يكون سببا في آية لقمان و يرد ذلك إلى السياق.

وجملة: "ما ليس لك به علم" هي قيد لبيان الواقع وفائدة هذا القيد حتى لا يحاول أحد أن يبحث ويطلب علما أو برهانا بأن الله تعالى له شريك فهذا هو الواقع وهذه هي فائدة القيد هنا.

قوله :" لا تطعهما" صيغة النهي جواب شرط ، أي: إن جاهداك فلا تطعهما ، قلنا فيما سبق من هذه الدراسة أن ألفاظ القرآن مختارة منتقاه وهذا ما نجده هنا في صيغة النهي فلم يقل الله فلا (تبرهما) ولم يقل أيضا: (فاعصهما) لأن كلمة (لا تطعهما) أهون في النفس من كلمة فاعصهما ، ولهذا كان قول إبراهيم عليه السلام لأبيه:" يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني" [مريم 43] أهون من قوله : يا أبت إنك جاهل بما عندي (ابن عثيمين . 2012 .ج7 ص192) ، فالتعبير له أثر في النفس لهذا ينبغي اختيار الألفاظ الرقيقة في باب المعاملة مع الوالدين وإن كانا على غير ملة الإسلام

وهناك أيضا قاعدة : إذا تزاحما أمران قدّما الأعلى على الأدنى كما في هذه الآية الكريمة فطاعة الخالق مقدمة على طاعة المخلوق أو كما يقال : لا طاعة

لمخلوق في معصية الخالق ن ولكن مع هذا يبقى حق الوالدين واجب في البر و الصلة وهذا هو معنى قوله :" صاحبهما في الدنيا معروفا" فالتعقيب في قوله "وصاحبهما" سد باب العقوق على كل من تسول له نفسه بذلك .

و النهي وحده هنا لا يكفي لأداء المعني المطلوب إذ لا بد له من الاقتران مع الأمر بالبر و الصلة و المصاحبة بالمعروف. وقوله:" معروفا" أي: "الشيء المتعارف و المألوف (...) وانتصب: على "معروفا" أنه وصف لمصدر محذوف مفعول مطلق لصاحبهما أي (صحابا معروفا لأمثالهما" (الطاهر بن عاشور . 1997 . ج7 ص161) نلاحظ هنا أن الحذف كان أبلغ من الذكر وكثيرا ما يحذف المصدر في القرآن الكريم

أما الغرض البلاغي من النهي في قوله "فلا تطعهما" فيفيد التحريم أي تحريم طاعة الوالدين وإجابتهما إلى الشرك بالله عز وجل مع الأمر بحسن صحبة الوالدين في أمور الدنيا لا في أمور الدين وبهذا يكون النهي قد أدى وظيفته البلاغية في إعطاء كل ذي حق حقه مع تقديم الأولى ألا وهو حق الله عز وجل.

ومضمون هذا النهي مضمون عقدي بالدرجة الأولى لأنه يحمي التوحيد و يحذر من الشرك ويحذر من إجابة الداعي إليه مهما كانت منزلته من القرابة و النسب. وإذا كان الله قد أمر بمصاحبتهما بالمعروف في حال إشراكهما و مجاهدة الأبناء ليوافقوهما على الشرك فمن باب أولى أن تكون المصاحبة لهما إن جاهدا الأبناء فيما دون الشرك. ويمكن القول أيضا أن مضمون الآية تربوي لأنه يعالج كيفية معاملة الوالدين المشركين إن ألحا في دعوة الأبناء إلى الشرك

المطلب الثالث : النهي عن تصعير الخد و المشي اختيالا وتكبرا

الآية الثالثة:

قال الله تعالى :" ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور" [لقمان 18] ورد ما يشبهها في سورة الأسراء وذلك في

قوله تعالى:" ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا" [الإسراء 37]

ورد في آية سورة لقمان نهيان و صيغتهما " لا تفعل" فالأولى "ولا تصعر" و الثانية " ولا تمش" وهنا ينتقل لقمان بابنه إلى الآداب في معاملة الناس عامة ، فجاءت وصاياه متدرجة من الأعلى من ترك الشرك إلى أن بلغ منزلة المعاملة مع الناس بالآداب الحسنة .

فقوله :" ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الرض مرحا" فيه نهي عن احتقار الناس و عن التفخر عليهم و هذا يقتضي أمره بإظهار مساواته مع الناس .

"ولا تصعر" فيها قراءتان الجمهور "ولا تصاعر" بألف بعد الصاد وقرأ الباقون ابن كثير وعاصم وابن عامر وغيرهم " ولا تصعر" وقال الألوسي [ان المعنى واحد مثل علاه وعالاه وأعلاه (الألوسي . 2001 . ج12 ص136)

قال الطاهر بن عاشور :" يقال صاعر و صعر إذا أمال عنقه إلى جانب آخر وهو مشتق من الصعر بالتحريك لداء يصيب البعير فيلوي منه عنقه فإنه صيغ له صيغة تكلف بمعنى تكلف إظهار الصعر وهو تمثيل . أي كنائي . للاحتقار لأن مصاعرة الخد هيئة المحتقر المستخف في غالب الأحوال" (الطاهر بن عاشور . 1997 . ج8 ص166)و الكناية كما يقول علماء البلاغة بأنها ابلغ من التصريح .

وكذلك قوله:" ولا تمش في الأرض مرحا" تمثيل كنائي عن التكبر و التفاخر لا عن خصوص المشي حال المرح فيشمل الفخر عليهم بالكلام وغيره

قال الزمخشري:" أراد "لا تمش" تمرح مرحا أو أوقع المصدر موقع الحال بمعنى مرحا ويجوز أن يريد لا تمش لأجل المرح و الأشر أي: لا يكن غرضك في المشي البطارة و الأشر كما يمشي كثير من الناس لذلك" (الزمخشري . 2019 . ج3 ص 566) فانتصاب مرحا على الصفة لمفعول مطلق أي مشيا مرحا" ومجيء المصدر حالا كمجيئه صفة يراد منه المبالغة في الاتصاف

في الأرض) بعد (لا تمش) مع أن المشي لا يكون إلا على الأرض هو ("و موقع قول الإيماء إلى أن المشي في مكان يمشي فيه الناس كلهم قويهم وضعيفهم ، ففي ذلك موعظة للماشي مرحا أنه مساوٍ لسائر الناس" (الطاهر بن عاشور . 1997 . ج6 ص103)

وقوله :" لا تصعر خدك" الخد هنا المراد به الوجه وهو من باب إطلاق الجزء وإرادة به الكل و قوله :" للناس" اللام هنا بمعن عن أي: عن الناس وتميل عنهم تكبرا " (ابن عثيمين . 2012 . ج7 ص201.200)

"ولا تمش في الأرض مرحا" بمعنى على الأرض ومعنى الآية فلا تمش على الأرض متبخترا في مشيتك متعاليا في نفسك ما لم يكن في الحرب فقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه يمشي مشية المتبختر في ساحة القتال فقال :" إن هذه لمشية يبغضها الله إلا في هذا الموطن" وكان النبي صلى الله عليه وسلم يفتخر في بغض غزواته وهو على راحلته ويقول:" أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد الطلب" (ابن عثيمين . 2012 . ج7 201) يقول ذلك افتخارا

"استعمال الحرف (في) بدل (على) يدل على شدة الوطيء على الأرض حال المشي و تطاول في بدن الماشي " (ابن عثيمين . 2012 . ج7 ص201)

"وقوله تعالى:" إن الله لا يحب كل مختال فخور" هذا تعليل للنهيين السابقين في الآية، ومختال اسم فاعل من اختال . وفخور أي مفتخر بنفسه والفرق بينهما أن الاختيال يكون بالنفس و الفخر يكون بالقول" (الطاهر بن عاشور . 1997 . ج7 ص 167)

وقوله :" إن الله لا يحب كل مختال" مقابل قوله :" ولا تصعر خدك للناس" وقوله:" فخور" مقابل قوله:" ولا تمش في الأرض مرحا" (الزمخشري 2019 . ج3 ص507)

وذكر الزمخشري عكس ما قاله ابن عاشور في المقابلة فقال:" المختال للماشي مرحا، وكذلك الفخور للمصعر خده كبرا" (الزمخشري . 2019 . ج3 ص507)ويرد الألوسي عليه بقوله:" عند الزمخشري لف ونشر معكوس" (الألوسي . 2001 . ج12 ص137)

و الغرض من النهي في الآية التحريم و التحذير في مقام النصح و الإرشاد فما زال لقمان يعظ ابنه ويرشده في كيفية التعامل مع الناس فينهاه عن كل قبيح في المعاملات مع الناس فلا يتكبر عليهم و يحسن هيئته في المشي بدون اختيال و بطر لأن الله يبغض ذلك وهو دليل على تحريم ذلك. فلقمان يريد من ابنه أن يكون في أعلى المقامات متواضعا في نفسه و للناس.

ومضمون النهي في الموضعين من الآية مضمون أخلاقي اجتماعي لأن في ذلك محافظة على الروابط الاجتماعية التي هي مأمور بها شرعا في جميع الشرائع و الأديان

الخاتمة:

من خلال دراستنا البلاغية لأسلوب النهي في وصايا لقمان توصلنا إلى جملة من النتائج نوجزها فيما يلي:

1 . الخطاب القرآني يستعمل أسلوب النهي كوسيلة للإقناع و إقامة الحجة

3 . خروج أسلوب النهي من معناه الحقيقي الذي هو طلب الكف على وجه اللزوم والاستعلاء إلى معان أخرى في أكثر من موضع تفهم من السياق و قرائن الأحوال : كالتحريم والتحذير و الوعظ والإرشاد وغيرها من المعاني

4 . النهي عند علماء البلاغة له صيغة واحدة هي (لا مع الفعل الضارع)

6 . لأسلوب النهي دور كبير في تحقيق البلاغة و التأثير على النفس البشرية

7 . المفسرون هم أكثر الباحثين استجلاء لمعاني القرآن الكريم دقيقها وجليلها واعتمادهم على البلاغة في تحليل النص وإظهار سر إعجاز القرآن.

8 . أسلوب النهي له مكانته ودوره الأساسي في علم البلاغة

9 . القرآن مادة خصبة ساهمت في تطور البلاغة و نضجها

فهذه أهم نتائج التي توصلنا إليها من خلال دراستنا لأسلوب النهي الواقع في حكم لقمان ،فإن أصبت فمن الله و إن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان ، هذا والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

فهرس المصادر و المراجع:

. القرآن الكريم

. أحمد مصطفى المراغي . تاريخ علم البلاغة و التعريف برجالها. طبعة 2017م القاهرة . دار ابن سينا

. اسماعيل بن كثير . تفسير القرآن العظيم طبعة 2014م مصر . دار المستقبل

. جار الله محمد بن عمر الزمخشري . الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل .طبعة 2013م مصر . دار ابن الجوزي

. شهاب الدين الألوسي . روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني . طبعة 1997م مصر . دار الفكر

. عبد القاهر الجرجاني . دلائل الإعجاز .طبعة 2018م القاهرة .دار الغد الجديد

. فضل حسن عباس . البلاغة فنونها وأفنانها علم البيان والبديع طبعة 2018م الأردن . دار النفائس

. فضل حسن عباس . البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني طبعة 2018م الأردن . دار النفائس

مالك بن أنس . الموطأ طبعة 2013م الجزائر. دار الإمام مالك

. محمد بن اسماعيل البخاري . صحيح البخاري .طبعة 1997م بيروت . المكتبة العصرية

. محمد الطاهر بن عاشور . التحرير و التنوير. طبعة 1997م تونس . دار سحنون

. محمد بن صالح العثيمين تفسير القرآن الكريم . طبعة 2012م . مصر. دار النجاح للكتاب

. محمد الفيروزآبادي القاموس المحيط . طبعة 1995 م بيروت . دار الفكر

. محمد بن منظور . لسان العرب . [د.ت] القاهرة . دار المعارف